اكليل العار

﴿ لامين الريحاني ﴾

* * * *

ما ودّع حين ولى · ولا احد من رفاقه الجالسين حول طاولة مربعة يساطها أخضر رفع اليه نظراً او فاه بكلمة دعاء او عداء · نقف احدهم الطاولة بانامله والوجه منه اصفر من السهر والهم ، فماثله الآخر ، فرمى الثالث الورق من يده · وأضاف كل منهم ما اجتمع في وسطها من حجارة العاج او الازلام السوداء والحمراء والبيضاء · أدير الورق واستئنف اللعب · واخذت الازلام تنتقل من اطراف الطاولة الى وسطها · « احترق » الثاني · ولكنه ظلّ في كرسيه يراقب الجولة الاخيرة بين رفيقيه ·

والسكوت سائد كأن غرفة القمار معبد او محكمة او بيت مهجور دخله اللصوص · تجسس كل من اللاعبين ورقه والعين منه جامدة غائرة ، واليد ترتجف · نظر كل منهما الى صاحبه نظرات منكرات مختلسات فيها تفرس وفيها افتراس · وشرع كل منهما يضاعف ازلام الاخر حتى كاد ينفد ما بين يديه منها · غربل كل حظه من الورق الذي في يده فاسقط الاول ورقة واسقط الثاني ورقتين · وبين هو يفعل ذلك حانت منه التفاتة فخامره منها الريب فاستشاط على الفور غيظاً ونهض واقفاً يهم بالخروج

فسأله صاحبه — ما بالك ؟

فاجاب وقد رمى الورق من يده — قد تواطأتم علي

— انت مجنون ·

— انت قليل الشرف ·

— احفظ ادبك · انا والله لا ابيع شرفي بمال العالم ·

— بعته الليلة بعشرين ريالاً · عيب عليك ·

— من مثلك لا يستحق ان يلعب مع الناس ·

— من مثلك ····

وانحنى فوق الطاولة ليكمل الاهانة بيده فحال دونه صاحب المنزل · لائماً موبخاً ·

— عيب علينا يا ناس · واجب ان تقتدي بتوفيق زيدون المقامر الشريف النفس · فانه اذا خسر يسكت ، واذا ربح لا يتبجح ··· عيب عليكما

وبين هو يوبخ صديقيه وكل منهما ، وقد ثاب الى رشده ، بعد ازلامه كان توفيق زيدون نازلاً الدرج منكس الرأس ، كاسف البال ، يده في جيبه الفارغة ونفسه الملتهبة في يده ·

وما قيمة نفسه وهو لا يملك فلساً واحداً ؟ وماذا عساه يصنع وقد لجأ الى آخر الحيل فكان فيها مدحوراً ؟ الى اين يذهب بهذه النفس المحترقة المتقلصة السوداء ؟ سؤالات كان يرددها وهو خارج من البيت لاعناً القمار والمقامرين ·

راح تائهاً في اسواق المدينة كركب لا شراع له تتقاذفه الرياح · وقف على منعطف الشارع فشاهد الارتال تمر امامه كأنها اشباح وكأن ضجيجها اصوات العفاريت · رفع رأسه واذا بالساعة في قبة الكنيسة تعلن الثمانية بعد نصف الليل ·

أيعود الى غرفته ؟ أيلجأ الى وحشة الوحدة وظلامها ؟ أيداوي نفسه ببلسم الرقاد ؟ لا · لا · رصاصة تسرع به الجحيم خير من هذا

والحقيقة انه استحب الموت · ومر في قلبه خاطر الانتحار مرور السحاب فظل برهة اسير هواجس مريعة · تتجاذبه نزعات اثيمة لا تخلو من قصد شريف · على ان قصده الشريف كان كغنمة بين ذئاب كاسرة · او كملاك بين زمرة من شياطين افكاره

لبط الارض برجله واللعنة تخرج من فيه وشياطينه تومىء اليه ان اتبعنا تبعها صاغراً · فنزل الدرج الى سكة الحديد تحت الارض · وركب القطار السريع الذي يخترق قلب المدينة ، بل ينساب كالحية تحت اضلاعها · وكانت نفس توفيق زيدون مثل ذاك القطار تسارع امواجها السوداء بين أنوار صفراء ضئيلة لقصد شريف · تبدو وتختفي كالبرق مثلما ترقص انوار النفق الزرقاء والحمراء والقطار بين صفوف منها يقعقع ويضج · فتردد صداه الالوف من عمد الحديد القائمة تحت قصور المدينة

نزل في محطة في وسط البلد واجتاز بضعة شوارع ووقف عند باب في احدها يقرع الجرس ·

أطلت بعد هنيهة فتاة من الشباك لتسأل من الطارق · فهمس توفيق باسمه · فراحت متأففة تكبس زراً يفتح الباب ولم تلبس غير قميص النوم لتستقبل صديقها ·

ما سلّم توفيق حين دخل المنزل بل سار تواً الى غرفة فيه مفروشة بالسجاد اثاثها يجمع بين البساطة والفخامة ورمى بنفسه على كرسي قرب البيانو · وهو لا يدري ما يقول

اخذ الفتاة العجب فسألت قائلة

— ما بالك تجيئني هذه الساعة ؟

— لانني ...

ووقف يشعل سيكارة ·

— ماذا جرى يا عزيزي ؟ هل انت مريض ؟

— لا بل يائس من الحياة ·

— اطلعني على شيء جديد من أحوالك

— سقطت اسعار الاسهم اليوم فخسرت كل مالي

فقالت لوسيل باسمة وهي لم تزل واقفة امامه في سربالها الشفاف

— جئت تمزح اذاً

— ليس وقت مزاح ·

— وما علمي يا عزيزي توفيق انك ذو ثروة

— ثروة ؟ ثروة ؟ ان مائة ريال ثروة لمثلي · لان المائة ريال قد

تجلب الوفاً ·

— وقد تجلب ···

فقاطعها قائلاً

— ما لم اطلعك عليه في ما مضى

· قد اطلعتني مراراً في مثل حالك الان عَلَى المهم من امرك · هل فيك رغبة الى كأس من الوسكي ؟

— لعن الله الوسكي · كيف احوالك اليوم

— كما ترى · نمت باكراً فايقظتني باكراً · وهذه من قواعد الصحة

— وماذا يهمني من ذلك ؟ كيف احوالك المالية ؟

— اسوأ من حالك يا عزيزي ·

— تكذبين · تعالي قبليني ·

— اقبلك اذا كنت لا تهينني ·

— اريني اذاً جزدانك · أما زارك احد هذه الليلة ؟

— قلت لك اني نمت باكراً · واقسم بالله ···

— يمينك لا تقنعني · اريني جزدانك

دخلت نوسيل غرفتها وعادت بعد هنيهة بحقيبة صغيرة رمتها في حجره ففتحها توفيق وأجال فيها يده وعينيه ورماها الى الارض غاضباً ناقماً

— انت كذابة محتالة

— وانت فاقد الشعور قليل الايمان ، بل انت بوبري · وقد سألتك

ألاّ تزورني في آخر الليل ستراً لحالي . أفلا تعلم اني اشتغل في النهار فتاة محصنة مكرمة ولا احد يظن بي ظناً سيئاً ؟ واحب ان احافظ عَلَى شرفي واصون عرضي تجاه من اشتغل عندهم في الاقل . لست مستهترة مثالك . ولي أمل بالتخلص مما انا فيه خارج شغلي اليومي . ولو كانت اجرتي تكفيني لالبس عَلَى الاقل مثل سائر البنات لما تنازلت الى عمل ليلاً آتيهم آسفة حزينة . بل لما ملت الى غيرك من الشبان . قلت لك ذلك مراراً عالمة انه لو كان لي ان اكتم حبي لكان خيراً لي ولكني صريحة القول . سليمة القلب ، وهذه بليتي . لست ولاّعة ، ولست كذابة ، ولست محتالة . انت تعلم ذلك ولا يردك هواك عن اهانتي . ألم اسعفك في ما مضى . ألم اقاسمك ما كنت املكه من المال . بل طالما افرغت جزداني بين يديك . والان تجيئني آخر الليل فتشتمني وتهينني لان جزداني فارغ . صدقني ياعزيزي توفيق لا اقوى عَلَى ردك وصدك . ولو كان لدي ريال واحد الان لاعطيتكه مسرورة . فما بالك تعيرني وتهينني ؟

واقتربت لوسيل من صديقها فجلست عَلَى ركبته تلاطفه وتداعبه . وقد كانت تخشى ان تغيظه لانه مطلع عَلَى حقيقة امرها .

توفيق زيدون شاب شديد البنية ، أسمر اللون ، اسود العين والشعر ، وسيم الوجه ، طويل القامة ، طويل الانف دقيقه . في فمه سيماء الشهوة والخشونة . وفي ذقنه القصير المائل الى عنقه ما يدل عَلَى ضعف الارادة .

ولوسيل فتاة اميركية ، صافية البشرة ، ذهبية الشعر ، زرقاء العين ،

دقيقة الاطراف ، متناسبة الاعضاء ، لا تتجاوز العشرين من العمر . شفتها السفلى بروز يجعل فمها كفم الطفل فيه سذاجة وجمال . وهي لطيفة المزاج سهلة المراس . نفسها في الحب كجدول من الماء المعين نهاراً وكالنهر الطامي ليلاً .

اجتمع بها توفيق زينون في المخزن الذي تشتغل فيه فشغفت به ومحضته حبها . واطلعته بعدئذٍ على خفي امرها فشجعها على ذلك بدل ان يردعها . وكان اذا خسر في القمار يلجأ اليها .

اما لوسيل فمثل سائر اخواتها من الشقر الحسان تهيم بحبيبها ساعة يكون معها وتكاد ان تنساه اذا غاب . وهي مخلصة في كلا الامرين ، عاملة بناموس طبيعي يملك قلبها ومزاجها .

فلما جلست على ركبة توفيق تداعبه ألانت من نفسه وأنسته بعض بلائه . فرفع الى صدرها يداً راغبة كأن النار تتوقد في انامله وقام وفي عينيه رغبة اشد انقاداً .

وبين هو في السرير امال نظره من جمالها الذهبي الى المرآة وراء السرير يتأمل جمالها الخيالي . فرأى هناك خزانة الثياب منعكسة فيها وعلى بابها الذي نسيت لوسيل ان تقفله تماماً لفافة زرقاء من الاوراق المالية كانت قد أخرجتها من حقيبتها لتضعها في جيب ثوب لها فاخطأت المقصد ولم تدرِ . فسقطت اللفافة على الارض .

ولما نهض توفيق ليلبس ثيابه خرجت لوسيل من الغرفة فسارع الى

باب الخزانة فالتقط ما كان على الارض من المال ووضعه في جيبه قائلاً في نفسه — عاهرة ، كذابة ·

ولما عادت لوسيل الى الغرفة قبلها قبلة باردة وودع ·

ركب القطار تحت الارض ولم يكن فيه تلك الساعة غير رجل واحد واخرج المال ليعده · فعده فرحاً مستبشراً وهو يردد في نفسه هاتين الكلمتين — عاهرة ، كذابة ·

ثم وضعه في جيب صدرته · وأخذه من شدة الضنك والتعب النعاس فنام · فوقعت من اهتزاز القطار قبعته على الارض فالتقطها رفيقه متلطفاً ووضعها قربه ·

ولما وصل توفيق الى غرفته كان عقرب الساعة في قبة الكنيسة مائلاً الى الرابعة · فنام مطمئن النفس ، هادىء البال حتى ظهر اليوم الثاني · فنهض اذ ذاك يلبس ثيابه · وذهب الى المطعم ليتناول الغذاء · فاكل هنيئاً كما نام ، ومد يده الى جيبه ليدفع ما عليه · ففتش عن المال ثم فتش فلم يجده

« البقية في العدد الآتي »